

تفسير ابن كثير

يقول تعالى مخبرا عن المشركين وعنادهم ومكابرتهم للحق ومباهنتهم ومنازعتهم فيه { ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم } أي عاينوه ورأوا نزوله وباشروا ذلك { لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين } وهذا كما قال تعالى مخبرا عن مكابرتهم للمحسوسات { ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون * لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون } وكقوله تعالى : { وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم } { وقالوا لولا أنزل عليه ملك } أي ليكون معه نذيرا قال الله تعالى : { ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون } أي لو نزلت الملائكة على ما هم عليه لجاهم من العذاب كما قال الله تعالى : { ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين } وقوله { يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين } الآية وقوله تعالى : { ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون } أي ولو أنزلنا مع الرسول البشري ملكا أي لو بعثنا إلى البشر رسولا ملكيا لكان على هيئة الرجل ليتمكن مخاطبته والانتفاع بالأخذ عنه ولو كان كذلك لالتبس عليهم الأمر كما هم يلبسون على أنفسهم في قبول رسالة البشري كقوله تعالى : { قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا } فمن رحمته تعالى بخلقه أنه يرسل إلى كل صنف من الخلائق رسلا منهم ليدعو بعضهم بعضا وليمكن بعضهم أن ينتفع ببعض في المخاطبة والسؤال كما قال تعالى : { لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم } الآية قال الضحاك عن ابن عباس في الآية يقول : لو أتاهم ملك ما أتاهم إلا في صورة رجل لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة من النور { وللبسنا عليهم ما يلبسون } أي واخلطنا عليهم ما يخلطون وقال الوالبي عنه : ولشبهنا عليهم وقوله { ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون } هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه ووعد له وللمؤمنين به بالنصرة والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة ثم قال تعالى : { قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين } أي فكروا في أنفسكم وانظروا ما أحل الله بالقرون الماضية الذين كذبوا رسله وعاندوهم من العذاب والنكال والعقوبة في الدنيا مع ما ادخر لهم من العذاب الأليم في الآخرة وكيف نجى رسله وعباده المؤمنين